عنوان الأطروحة / الرسالة	البلدان التي ارتحل إليها الإمام البخاري وروى عن شيوخها في صحيحه (جمعاً ودراسة)
اســـم الباحـث	عائشة أسامة محمد زهير الشنطي
اســم المشــرف	أ.د. سعاد جعفر حمادي
البرنامــج	ماجستير الحديث الشريف وعلومه
الـكـلـيـة	كلية الشريعة والدرسات الإسلامية
الـجـامـعـــة	جامعة الكويت
الـدولـــة	الكويت

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعـد:

فقد أنعم الله عزّ وجلّ على هذه الأمة بهذا الدين العظيم، الذي أكمله وأحكمه ورضيه لهم دينًا خالدًا باقيًا إلى أن يرث سبحانه الأرض ومن عليها، وأكرمهم ببعث نبيّ الرحمة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، واصطفى له أصحابًا كرامًا أمناء هم خير القرون، قاموا بحفظ رسالته، وأدائها بكاملها إلى من بعدهم من أئمة التابعين، والذين بدورهم لم يألوا جهدًا في إحاطتها بكلّ ما يضمن حفظها على أكمل الوجوه وأتمّها، وإبعاد كلّ محاولةٍ لإدخال ما ليس منها فيها، واستمر الحال هكذا إلى أن ظهر عصر التصنيف، وتفنُّن علماء الحديث في إبراز حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم، سواءٌ منها ما كان مصنّفًا على الموطآت أو المسانيد أو الجوامع أو المصنفات أو المعاجم أو الأبواب، بحيث لم يتركوا حديثاً مروياً، إلا ودوّنوه في تلك

المصنّفات، جزاهم الله خير الجزاء، وأجزل مثوبتهم، وأكرمهم بصحبة نبيّه صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى.

وكان من أشهر كتب السنة وأتقنها وأولّها في الاقتصار على جمع أصحّ ما جاء من حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم: صحيح الإمام البخاري رحمه الله، الذي فاق السابقين واللاحقين له إلى هذه المرتبة العليّة، حيث عُدَّ كتابه هذا أصح كتب الحديث باتفاق القريب والبعيد، والمؤالف والمخالف، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ولهذا السبق والفضل والتصدّر في بابه، حرص علماء الإسلام على اختلاف مناهجهم واهتماماتهم ومذاهبهم على تقديم الاحتجاج به على ما سواه من كتب السنة النبوية، وجعل ما أخرجه في صحيحه هو المصدّر في كلّ بابٍ من أبواب كتبهم على اختلافها، ورافق ذلك اشتغال طائفة كبيرة منهم على مرّ العصور بشرحه كلٌّ بحسب مقصده، من مطوّل ومتوسِّط ومختصرٍ، وإبراز فوائده، والتنبيه على شرطه ومنهجه ومقاصده، وأحوال رجاله، ولطائف أسانيده، وتوضيح غوامضه، والعمل على حلِّ إشكالاته، وبيان غريب حديثه، وغير ذلك ممّا تدعو الهمم إلى الاهتمام به وإبرازه.

ومع كلّ هذه العلوم الغزيرة التي نثرها علماؤنا الأفاضل حول صحيح البخاري، وبثّوها في كتبهم ومصنّفاتهم، وأوصلوها لنا غضّة طريةً مستساغة جامعة لكلّ خير، إلا أن هنالك بعض الجوانب الجزئية - في كتب السنة بالعموم، وفي صحيح البخاري بالخصوص - ما زالت بحاجة إلى مزيد بحث واستقراءٍ للوصول إلى نتائج يقينية أو راجحة، وذلك بجمع النظائر، وإنعام النظر وإثراء البحث فيها، خدمةً لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وتقريبًا لمناهج الأئمة الأعلام الأفذاذ للمشتغلين بعلوم الشريعة، مما يرسّخ الفهم الصحيح، ويُعين على حُسن التعامل معها، وإتمام الفائدة المرجوة منها.

ويظهر شيء من هذه الجوانب التي لا زالت بحاجة إلى مزيد بحث واستقراء، عند النظر في طرائق المصنفين الجامعين لحديث النبيّ صلى الله عليه وسلم، فنجد مثلاً القليل منهم ممّن كان يذكر مكان سماعه من شيخه، أو زمان ذلك، أو كليهما، خاصّة في العصور المتقدّمة للتصنيف في الحديث النبويّ، ثم بدأ يظهر ذلك جليًّا عند بعض المصنّفين من الأجيال التالية لتلك العصور، وممّن وجدته يذكر شيئًا من ذلك مع تقدّم زمانه: الإمام أحمد في مسنده الإمام، إذ نصّ في غير موضع على موطن سماعه من بعض شيوخه.

وهذا الصنيع من الإمام أحمد على قلّته بل ندرته بالنسبة لعدد أحاديث مسنده الإمام، إلا أنه يعدُّ لبنّة مؤسّسة لهذا النوع من اهتمام المحدّثين بذكر مكان سماعهم من شيوخهم، ومع ندرته بل وعدمه في كتب طبقة تلاميذ الإمام أحمد من أصحاب الكتب الستة، وفي مقدّمتهم البخاري رحمه الله، إلا أنه وُجد بكثرة في الطبقات التالية كما أشرتُ سابقًا، نجد هذا واضحًا جليًّا كثيرًا في مصنفات الإمام الطبراني (ت٣٦٠هـ)، ثم الحافظ ابن حبان (ت٣٥٤هـ)، ثم الحاكم (ت٤٠٥هـ)، وغيرهم ممّن تلاهم زمانًا ومنزلةً.

وتتبّع ذلك يطول ويكثر التمثيل له، لكن ما يهمّنا في دراستنا هذه أن هذا الاهتمام لم يكن من أولويات الإمام البخاري في بناء صحيحه، بل ولا من ثانوياته – إن صحّ التعبير –، إذ إن الناظر المتأمّل في صحيحه يَعدِم أن يجد مثالًا واحدًا يندرج تحت هذا السياق، ولعلّ هذا عائدٌ لأسباب، منها: طلبه للاختصار وعدم التطويل، بحيث اقتصر على هذا الكمّ من الأحاديث التي صحّت عنده، وساقها بطرقه المعروفة، والمتضمّنة الاختصار في أسماء بعض شيوخه، وتعليق بعض الأخبار التي وصلها في مواطن أخرى، وطريقته المعروفة في اختصاره للأحاديث، والاقتصار على موضع الشاهد منها، أضف إلى ذلك ما عُرف عنه من ميله للتلميح في كثير من المواطن أو أكثرها عوضًا عن التصريح، وهو ما لم يتوفّر بعضه أو جلّه أو كلّه فيمن تلاه زمانًا من جامعي حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وعدم اهتمام الإمام البخاري بالنص على مواطن سماعه من شيوخه هو ما فتح الباب لهذه الدراسة وما يدور في فلكها من دراسات؛ يطمح الباحثون من خلالها إلى تعيين مواطن لقاء الإمام البخاري بشيوخه وسماعه منهم، وما يُبنى على ذلك من فوائد حديثية، تظهر في مواطن بحثي هذا بإذن الله تعالى.

أهمية الموضوع :

اخترت هذا البحث لأهميته في مجاله، ويستمد البحث هذه الأهمية من خلال ما يلي:

- تعلقه بعلم من أشرف العلوم الشرعية وهو الحديث النبوي الشريف.
- ارتباطه بأهمّ وأصحّ كتب الحديث، ألا وهو صحيح البخاري المقدّم في هذا الباب، وكونه دراسة علمية تطبيقية حديثية تخدم هذا الكتاب، ومن خلال خدمة هذا الكتاب تتحقق خدمة سنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

- إبرازه لجانبٍ مهم من صحيح البخاري متعلّق بشيوخه في صحيحه وبلدانهم ومدارسهم الحديثية، مما يعين على تفصيل رحلته في طلب الحديث، ومدتها، ومسارها، وتأثير ذلك على كمِّ أحاديث صحيحه ودرجتها، وتسليطه الضوء على الإمام البخاري، وكثرة رحلاته في طلب العلم، خدمة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وطلباً لسماع الحديث النبوي الشريف.

أسباب اختيار الموضوع :

عدم وجود دراسات حديثية كافية متعلّقة ببيان الأمصار التي ارتحل إليها علماء الرواية طلباً لسماع حديث النبي صلى الله عليه وسلم، مما أوجد شبه انقطاع بين أهل زماننا وبين تلك البلدان والتعرّف عليها، وعلى دور علمائها ومحدّثيها في نشر حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

كون هذه الدراسة كنظيراتها من الدراسات التفصيلية التطبيقية تعمل على تسهيل التعامل أكثر فأكثر مع كتب المحدثين، وتعميق فهم مناهجهم، وعقد مقارنات للوقوف على المتفق والمفترق والمتقارب بين أصحاب كتب الحديث، خاصة منهم من تعاصروا في زمان واحد، واجتمعوا في بلدان متقاربة جغرافياً، كأصحاب الكتب الستة ومن سبقهم كالإمام أحمد، والدارمي، وكذا من تأخّر عنهم قليلاً كالبزار وأبي يعلى، ثم من تأخّر عنهم كابن خزيمة وابن حبان وهكذا.

كونه مرجعاً علمياً لطلاب العلم فيما يتعلق بشيوخ الإمام البخاري في صحيحه، وأمصارهم، ومدارسهم الحديثية.

بيانه أهمية الرحلة في طلب الحديث، وكونها الجادّة المطروقة الأهم التي من خلالها يستطيع طالب الحديث جمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم، والتنبيه على وجهات طلاب الحديث، التي كانوا يحرصون على شد رحالهم إليها، وفي ذلك إثراءٌ لهذا النوع من علوم الحديث الذي قلَّ البحث فيه عمومًا، وربطٌ تطبيقيٌّ له بأصحِّ كتب الحديث، وبيان لعظمة علم الحديث واتساع رقعته ودقة منهجه.

خطة البحث :

تم تقسيم البحث إلى مقدّمة وفصلين وخاتمة وفهارس فنية.

أما المقدمة فهي التي بين أيديكم.

وأما الفصل الأول ففيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإمام البخاري وصحيحه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام البخاري.

المطلب الثاني: التعريف بصحيح الإمام البخاري.

والمبحث الثاني بعنوان: فضل الرحلة وأسبابها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء في فضل الرحلة.

المطلب الثاني: أسباب الرحلة.

المبحث الثالث، بعنوان: طرق تصنيف شيوخ البخاري، وكيفية الوصول إلى مواطن سماع البخاري منهم:

المطلب الأول: طرائق العلماء في تصنيف شيوخ البخاري.

المطلب الثاني: طرق ترجيح مكان سماع البخاري من شيوخه.

وأما الفصل الثاني، ففيه خمسة مباحث، وهي كالتالي:

المبحث الأول: بلاد ما وراء النهر.

المبحث الثاني: المدرسة الشامية.

المبحث الثالث: المدرسة العراقية.

المبحث الرابع: المدرسة الحجازية.

المبحث الخامس: المدرسة المصرية.

ثم الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

حدود البحث :

يختص هذا البحث بذكر شيوخ الإمام البخاري الذين روى عنهم في صحيحه، مع حصر بلدانهم ومدارسهم الحديثية، ابتداءً من مسقط رأس الإمام البخاري، ثم بذكر البلدان التي ارتحل إليها ابتداءً وانتهاءً.

ويخرج بهذا المحدّد ما يلي:

البلدان التي زارها الإمام البخاري وسمع فيها، لكن لم يرو عن شيوخها في الصحيح -إن وجدت-.

شيوخه الذين سمع منهم في الأمصار التي زارها، إلا أنه لم يرو عنهم في صحيحه، سواءٌ روى عنهم في كتبه الأخرى، أو ترك الرواية عنهم في سائر كتبه.

منهج البحث :

المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء الكتب التي اختصت بجمع شيوخ الإمام البخاري في الصحيح، مثل: كتاب أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه الذين ذكرهم في جامعه الصحيح لابن عدي، وهو من أهم الكتب التي اعتمدتها في رسالتي هذه، ثم كتاب أسامي مشايخ البخاري لابن مندة، وكتاب أسامي شيوخ البخاري للصغاني، واستقراء الكتب التي اختصت بتراجم الرجال، وكتب ومعاجم البلدان، وذلك لحصر أسامي الشيوخ ثم ترتيبهم على البلدان التي سكنوا فيها، مع الترجمة لكل شيخ من شيوخ الإمام البخاري في صحيحه بترجمة تناسب مقاصد بحثي هذا، والتعريف بكل بلد ومدرسة حديثية تعريفاً مناسباً، مرتَّبةً هذه البلدان على المدارس الحديثية، ثم مرتِّبةً للشيوخ في كل بلد على حروف المعجم.

المنهج التحليلي: اعتمدتُ المنهج التحليلي لمحاولة الوصول إلى نتائج تبيِّن التالي:

أولاً: التسلسل التاريخي لتنقل الإمام البخاري بين البلدان.

ثانياً: مكان سماع الإمام البخاري من شيوخه، ويظهر ذلك بأحد الطرق التالية:

بنص الإمام البخاري على ذلك.

بنص أحد ممن قام بالترجمة للبخاري أو لشيوخه.

بإنعام النظر في القرائن المحيطة بترجمة كل شيخ ومروياته في الصحيح.

مع التنبّه والتنبيه إلى أن معرفة مكان سماع الإمام البخاري من الشيخ هو – في كثير من الأحيان – من الأمور الخفية الغامضة التي قد يصعب الوصول فيها إلى نتائج حتمية ومؤكدة، وسيأتي معنا بتفصيل القرائن التي اعتمدت في السعي إلى تحديد موطن سماع البخاري من كلّ شيخٍ من شيوخه.

نتائج البحث :

تم استخلاص هذه النتائج من بحثي، وهي كالآتي:

لم يكن من عادة البخاري في صحيحه التصريح بمكان لقائه لشيخه، وإنما فعل ذلك نادرًا، حيث نصّ على ذلك في ثلاثة من شيوخه، وهذا يعد من أوضح الدلائل المحدّدة لموطن سماعه منهم.

مِن شيوخ البخاري مَن لم يرحل من بلده، وهذه القرينة أكثر القرائن صراحةً في إثبات موطن سماع البخاري من شيوخه، بعد تصريح البخاري بذلك.

اهتم الإمام الحاكم رحمه بذكر أهم شيوخ البخاري ناسبًا لهم إلى البلدان التي التقاهم فيها البخاري، وكان بصنيعه هذا سابقًا لغيره، وموضّحًا لجزءٍ مهم من رحلة البخاري ومواطن التقائه بشيوخه.

وتصنيف الإمام الحاكم هذا يعدُّ الطريقة الثالثة التي اعتُمدت في تحديد موطن سماع البخاري من شيوخه، ولا شكّ أن تقديم هذه الطريقة على ما بعدها؛ يعود إلى دائرة الحاكم الموسوعية في الحديث والتاريخ، خاصةً فيما يتعلّق ببلدان ما وراء النهر، وأخصُّ ذلك بلاده نيسابور، فهو صاحب تاريخها الذي لم يؤلّف مثله.

من الطرق المرجّحة في تحديد مكان سماع البخاري من شيوخه، تعبير أصحاب التراجم بما يفيد طول مكث الشيخ في بلد ما، كتحديثه في ذلك البلد، أو كونه من عداد بلدة كذا، وهذا وإن لم ينته بالباحثة إلى الجزم بذلك، إلا أنّه يعدُّ قرينة يمكن الاستئناس بها على أقل الأحوال.

وقد ينصّ العلماء في ترجمة أحد شيوخ البخاري بأنه كان مسند البلد، أو محدّثه أو خطيب مسجده الجامع أو مؤذّنه، وهذا كلّه مما يرشد المتأمّل إلى ترجيح سماع البخاري منه في ذلك البلد.

وقريبٌ من هذه القرينة نصّهم في ترجمة بعض الشيوخ على أنه كان قاضيًا في بلدٍ ما، فهذا ممّا يقوّي جانب طول مكثه في ذلك البلد، وبالتالي يقوّي إمكانية سماع البخاري منه هنالك، والله أعلم.

كذا من القرائن المعمول بها في بحثي هذا من أجل ترجيح مواطن سماع البخاري من شيوخه: نصُّ بعض أقرانه ممن شاركوه في الطبقة الزمانية والمكانية أو قاربوه فيهما أو في إحداهما، وهذه القرينة كبعض سابقاتها إن لم تصل بالباحثة إلى الجزم بذلك، فلا أقلّ من أن يُستأنس بها، وتقدّم في بابها، ما لم تخالف – هي والقرائن السابقة – بأقوى منها.

ثم إن نصّ العلماء على وفاة شيخ في بلدٍ ما يُلحق بالقرائن السابقة في إمكانية سماع البخاري منه في ذلك البلد، لا سيّما إن كان تاريخ وفاته موافقًا أو مقاربًا لنزول البخاري ذلك البلد، أو مروره فيه، وأقوى هذه النصوص ما كان صادرًا من البخاريِّ نفسه، إذ قد يبعُد في الاحتمال أن يحرص البخاري على ذكر مكان وفاته، ويُغفل مكان لقائه به، والله أعلم.

ما اعتُمد من الطرق في تحديد مكان لقاء البخاري في شيوخه، منها ما أدّى إلى الجزم بذلك، كنص البخاري على لقائه لشيخه في بلدٍ ما، ثم نصِّ العلماء على عدم رحلة الشيخ المترجم له من بلده، ويلي ذلك نصُّ الحاكم على مواطن سماع البخاري من شيوخه.

ومن هذه الطرق ما يوصل إلى نتيجة ظنّية تقدّم على غيرها، ومنها ما هو دون ذلك، لكن تقدّم في الباب ما لم تخالف بأقوى منها.

مع التذكير إلى أن مثل هذه البحوث لا بد أن يقوم جزءٌ منها على الاحتمالات التي قد تقوى وتضعُف بحسب القرائن المحتفّ بها، ولا زال أهل العلم منذ بدء التصنيف العام في سائر فنون الشريعة يستدرك بعضهم على بعض، وينبّه بعضهم على أوهام بعض، لا سيّما في فن تراجم الرجال، وما يرافق ذلك من ضبطٍ للأسماء والأنساب والوفيات والبلدان وأحوالهم من حيث العدالة والضبط، والله أعلم.

التوصيات :

لما كانت هذه الرسالة بمثابة مدخل تعريفي لدراسة رحلة البخاري العلمية، وأثر ذلك في بناء صحيحه، وكانت منضبطة بخطةٍ تناسب هذه المرحلة الدراسية من حيث الحجم والمستوى، أدى ذلك إلى إجمال في بعض مفاصلها، تحتاج في سرد تفاصيلها، ودراسة أبعادها إلى رسائل عدة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، لذا تقترح الباحثة ما يلي:

الإفادة من هذه الرسالة ببناء دراسات مستقلة تعنى بصيغ التحمل والأداء، وببيان أثر المدارس الحديثية في بناء صحيح البخاري، وذلك ببيان ما يلي:

عدد شيوخ كلّ مدرسة من هذه المدارس إجمالًا، وتفصيلًا بتفريقهم على بلدانهم التي التقاهم فيها الإمام البخاري.

عدد أحاديث كلّ مدرسة من هذه المدارس إجمالًا، وتفصيلًا بذكر عدد أحاديث كلّ شيخٍ من شيوخه.

النظر في درجة هذه الأحاديث من حيث الرفع والوقف، والوصل والإرسال، والعلو والنزول، وكذا فيما يتعلّق بالمعلّقات في هذا الصحيح، وطرق تصدير البخاري لها.

النظر في المادة الحديثية المعتمدة في صحيح البخاري، والمتعلّقة بتلك الأمصار، من حيث شمول أحاديث كلّ مدرسة لسائر كتب وأبواب صحيح البخاري، أو اقتصار بعض هذه المدارس أو بعض بلدانها على بعض كتب وأبواب صحيح البخاري.

إبراز منهج البخاري في انتقاء أحاديث صحيحه من مجموع ما سمعه من شيوخه، وأسباب اقتصاره على ما انتقاه دون غيره من هذه المسموعات.

وذلك بعد النظر في منهج البخاري في السماع من شيوخ تلك الأمصار، هل حرص على استيعاب الشيوخ الثقات في كلّ البلدان التي زارها، أم اقتصر على بعضهم دون الآخر؟ وبيان أسباب ذلك سواء من حيث الاستيعاب أو الاقتصار؟

إنشاء دراسات مماثلة لمادة هذه الرسالة، تبحث في مواطن سماع أئمة علم الحديث من شيوخهم، خاصة سائر أصحاب الكتب الستة، وذلك بالعمل على تحديد تاريخ بدء رحلة المحدّث، والبلدان التي قام بزيارتها، ومواطن سماعه من شيوخه فيها، مع عدد

أحاديث كلّ شيخ في هذه الكتب، وإبراز أكثر البلدان شيوخًا وأحاديث، مع ذكر النصوص والقرائن المعتمدة في بيان ذلك.

العمل على حثّ طلاب الدراسات العليا على مزيد الاهتمام بدراسة الكتب الستة, والسعي لإبراز علوّ مكانتهم، وصحّة مناهجهم، واطّراد مسالكهم في مصنّفاتهم، مما يؤكّد أحقّيتهم في تصدير العلماء لهذه المصنفات على ما سواها.

ولا شكّ أن أهم الكتب التي ينبغي أن يضاعَف الاهتمام بها من قبل المختصين في مجال الحديث – ومنهم طلبة الدراسات العليا -: الصحيحان، وأهمهما صحيح البخاري، فهو المقدّم بهذا الباب، وكلّ من جاء بعده من المحدّثين إنما نهَل من صحيحه، وأيقن بعلوّ مكانته وسبقه في هذا المجال.

ومع جهود علمائنا السابقين في خدمة صحيح البخاري، والعمل على إبراز مكانته وتقريبه لأمة الإسلام على اختلاف اختصاصاتهم واهتماماتهم، إلا أن جوانب عدّة ما زال يحيط بها نوعٌ من الخفاء متعلّقًا ببيان مقاصد البخاري فيه، ولا شكّ أن هذا الخفاء يزول تدريجيًا بتكثيف الدراسات التفصيلية من أهل الاختصاص، كلٌّ بحسب استطاعته.

ولا يخفى على كلِّ حريص على دينه وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم؛ تلكم الهجمة الشرسة التي يحمل لواءها أُناسٌ لا قيمة لهم في ميزان العلم الشرعي، أتيحت لهم منابر يسعون من خلالها لدسّ سمومهم، وبثّ شبهاتهم في مجتمعات المسلمين، عبر مسالك أضحت لا تخفى على عاقل، من أهمها إسقاط رموز هذا الدين، وتشكيك الناس في معتقداتهم، وصرفهم عن اتباع سنة نبيّهم صلى الله عليه وسلم، ولا يتمّ لهم ذلك إلا بإسقاط الكتب التي جمعت صحيح حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأولّها وفي مقدّمتها: صحيح الإمام البخاري.

ولذا كان من أوجب الواجبات على كلّ قادر من أهل الاختصاص الحديثي السعي الحثيث في الدفاع عن سنة النبيّ صلى الله عليه وسلم، والعمل على حفظ مكانة هذه الكتب الحديثية، وإيصال ما فيها من خير إلى جموع المسلمين.

تاريخ المناقشة :

٢٠٢٢/١١/٣٠

أعضاء لجنة المناقشة :

الاســم	المسمى
الأستاذة الدكتورة إيمان علي العبد الغني	رئيس اللجنة
الأستاذة الدكتورة سعاد جعفر حمادي	المشرف
الدكتورة إقبال علي العنزي	المناقش (١)